

النظام النسبي

الأول، يلحق به شربل. «فشحاتهما» متناسفة. فجة ينتبه شربل: أنا مروان شربل، أين فخامة الرئيس؟ يترك ميقاتي ليتابع طريقه وحده، فيما يتراجع هو سائلاً بعينيه أحد الأمنيين: أين هو؟ أين الرئيس؟ في ظل الحضور الخجول جداً، لا ينقصه سوى تغيب الرئيس. لكن لا! زحمة السير الخائفة بسبب الإجراءات الأمنية وأولئك العسكريين الذين وقفوا تحت المطر يحرسون الهواء من القصر الجمهوري في بعيداً حتى فندق الفينيسيا أكدت أن فخامته أت. وسرعان ما يتذكر شربل أنه التقى الرئيس في الغرفة الجانبية قبل ثوان. إذاً، مجرد خطأ بروتوكولي. يجرب عريف الاحتفال حظه مرة أخرى: «فخامة رئيس الجمهورية العماد ميشال سليمان». يصفق الحضور ليتشجع الرئيس أكثر على الخروج. و... بطل الرئيس. تزلزل «خطة قدميه» الأرض، تنتعش الكرامات، تتفتح الأريحية الشعرية السعيد عقلية، تفرقع القلوب: هوذا الرئيس الرئيس. هي نفسها الإبتسامة الجدية والنظرة. يسلم على زياد بارود كما يسلم على بشارة مرهج تماماً كما يسلم على أحمد فتفت ومروان حمادة والسفراء وغيرهم. تذكروا: الرئيس على مسافة واحدة من الجميع. يبتدع شربل تقليداً جديداً حرصاً على تقاعده العتيق، فيجلس وزراء الداخلية السابقين في الصف الأول. هذا إنجاز شربلي جديد: أعاد معاليه بشارة مرهج وذكر بفتفت الداخلية.

المهم، هنا مؤتمر دعا إليه شربل شخصياً، يرعاه رئيس الجمهورية، عنوانه «لبنان والنظام النسبي في مشروع قانون الانتخابات النيابية 2013». حضر رئيسا الجمهورية والحكومة، فيما غاب رئيس المجلس النيابي العرب المفترض للنظام النسبي. البداية مع مسؤول برنامج

الأمم المتحدة في لبنان روبير واتكنز الذي وضع قدرات مؤسسته الدولية التقنية والتدريبية في تصرف المؤسسات اللبنانية. أخيراً وصل دور شربل في الخطابة. ارتباك إضافي، يأخذ الملف معه أم يتركه على كرسيه، والخلوي والنظارات؟ لا! لا بد من أخذ الملف ليقرأ منه والنظارات

ليقرأ بواسطتها. يضع كدسة الأوراق على المنبر أمامه وينطلق. غابت عن وزير الداخلية وصية سعيد تقي الدين «أفعل أنواع الألقاء هو ورقة تقرأ منها ولا تقرأها». يقرأها شربل كما هي، حتى تكاد تسمعه يقول: «فاصلة، نقطة على السطر». ولا يحسب معاليه حساباً للكلمات التي تعجز «أن تفعل في نفس السامع ما دامت تعجز عن الفعل في نفس القائل». مع العلم أن تقي الدين لم يكن قد سمع بشربل حين كتب: «ليس من منظر أدعى للإشفاق من رجل تكلم بين جمع، بما توهمه فكاهة، وعجز عن استثارة ضحكة أو ابتسامة. خل عنك إن حسبوا «النكته» سذاجة. في النتيجة، رأى شربل أن «القفز باتجاه النسبية ضروري وملخ كمدخل وحيد لإعادة الاعتبار إلى الحياة السياسية والوطنية». وشن - بصفته صديقاً للحكومة ربما لا وزيراً فيها - هجوماً على الحكومة «التي لا يزال موقفها ملتبساً كأنها تستجيب ضمناً للرغبات التي تريد إيصالنا إلى موعد الانتخابات بقانون أجمعت معظم القوى على وصفه بالمتخلف». لاحقاً، تصيح الكلمة محاضرة، فيخرج من الألفاظ كرش وتنمو لها لحية. يواظب الرئيس سليمان على هر رأسه موافقاً على كل ما يقوله وزير داخلية. يتشاءب وزير الصحة علي حسن خليل، يلحق ناظم الخوري به، ويتمدد الناس على طول الصف الأول. لم يعلم شربل الحاضرين بمزايا اقتراحه الانتخابي ولا بالمرحلة التي بلغها المشروع، قبل

أن يختم مسلماً قطار الكلام إلى فخامة الرئيس. مع كل خطوة يتقدمها الرئيس باتجاه المنبر، يظهر ضابط في الطريق: واحد يحمل كوب مياه، آخر يحمل كلمة الرئيس وثالث نظارته. تنغذي خطابات الرئيس غالباً بعبارات براقية: «قانون عصري ومتطور» بسمح للبنان واللبنانيين «بالمضي قدماً في ممارسة الديمقراطية الميثاقية» التي هي ميزة «نظامنا اللبناني». قانون 1960 لا يحقق «صحة التمثيل» لـ «مكونات المجتمع اللبناني كافة»، وبالتالي لا يتناغم مع «ميثاق العيش المشترك» و«روح وثيقة الوفاق الوطني». وهناك دائماً عبارات مثل «المبادئ الميثاقية التي لم يكن لبنان لينشأ ويحيا من دونها». وأي محاولة لوضع قانون انتخاب جديد تفترض احترام المبادئ الأساسية التي تنبع من خصوصية لبنان ونظامه.

يكرر رئيس الجمهورية «الكلمات التي تليق بالمقام» في كل مناسبة و«بعد كل وليمة وفي كل عرس وعلى رأس كل ميث». يضبط ميقاتي والوزير علاء الدين ترو عضلات وجهيهما؛ لأن الثناؤب معيب في حضرة فخامة الرئيس مهما بلغ حجم جرعات xanax الكلامية. ينتبه الرئيس، فيقدم عبارة يتطلب فهمها حك العقول: «نبحث عن نظام يؤمن مشاركة الطوائف والمناصفة الحقيقية من دون أن يكرس الطائفية السياسية». «يؤمن مشاركة الطوائف والمناصفة ويبعد الناخبين عن العصبية والخيار المذهبي». وبالنسبة إلى الرئيس، تُخمد العصبية الطائفية عبر طمأنة كل طائفة إلى أنها قادرة على اختيار مرشحها. ولا يجوز في مناسبة كهذه بحضرة وجهاء المجتمع الدولي والدبلوماسي أن لا يشير الرئيس إلى وجوب أن يضمن القانون الانتخابي صحة التمثيل للمرأة أيضاً. وهناك دائماً مساحة إضافية لإنشاء إضافي: «لا بد من قانون انتخابي يضمن حسن التمثيل لفئة الشباب». «لا بد من قانون انتخابي يسمح بأن تكون الانتخابات حرة ونزيهة بعيداً من أي ترغيب غير مشروع أو أي تهديد».

رجل الجمهورية الأول كان الأول في صفه في القراء من دون شك. يمكن المشككين أن يضبطوا ساعاتهم. العينان في الورقة أربع ثوان، تعلوان صوب القاعة جزءاً من الثانية وتعودان إلى الورقة مجدداً. وهكذا دواليك، دقيقة تلو الأخرى طوال ثلاثين دقيقة. يصل الرئيس ختاماً إلى نقطة عملية قد تكون الوحيدة؛ فبين المصريين على الدائرة الكبرى وفقاً لمنطق الطائف، وحاجة البعض الآخر إلى الدائرة الفردية، رأى سليمان أن الصوت التفضيلي يحل المشكلة. هذه كانت تحتاج إلى شرح إضافي وكان يمكن أن تجعل كلمة سليمان استثنائية لو فضلها ليقنع الرأي العام بقدرة هذا الصوت التفضيلي على حل مشكلة والانتهاه من سجال عقيم آخر. ينتهي الرئيس. تصفيق. يوصي العريف الحاضرين بعدم التحرك من أماكنهم حتى يغادر الرئيس. لا حاجة للرئيس إلى النقاشات التي سيشهدها المؤتمر المقترح. يقول كلمته ويمشي. يحاول الرئيس سليمان في كل مرة أن يكون كأحد أولئك الرؤساء العظماء. يرفع يده ليحيي الجماهير، يلتفت باحثاً عن المؤيدين، تنفجر أساريه حين يسمع هتاف أحدهم «الله معك يا فخامة الرئيس، يا كبير». في كل مرة يخيب ظنه، لكنه لا يفقد الأمل أبداً. لا بد أن يأتي يوم يضفي فيه حضور الرئيس طمعاً على المؤتمر وتغني كلمته النقاش ويتفاعل الحاضرون مع قامته، فيكون لزحمة السير ولوقوف أولئك العسكريين تحت المطر مبرر.

إحراج متبادل

شهد المؤتمر مجموعة نقاشات لبعض النواب والوزراء وبعض الاختصاصيين، فرحب النائب سامي الجميل بالإصلاحات التي تضمنها مشروع شربل، وخصوصاً موضوع الكوتا النسائية بالترشيح لا بالمقاعد المحجوزة، متمنياً تشريع اقتراع العسكريين. وأعرب عن تشجيعه النظام النسبي من جهة، وخوفه من عدم تحقيقه المناصفة فعلياً عبر هذا النظام من جهة أخرى. أما النائب أحمد فتفت، فقدم عرضاً عبر شاشة عملاقة نقض فيه بنحو ذكي ومميز مشروع شربل من أساسه، مظهراً التناقضات التي تضمنها المشروع، مشدداً على وجود استنسابية في ما يخص تفاصيل الدوائر. بعد فتفت فتفت مشروع شربل وعجز الأخير عن الدفاع، وجد مروان شربل وسيلة ذكية لينقذ نفسه ومشروعه حين خاطب فتفت قائلاً: «إن كنت صادقاً في ادعائك أن تيار المستقبل يؤيد النسبية وأحضرت دليلاً على ذلك، فسأخذ كل ملاحظتك في الاعتبار وأجعل لجنة الصياغة تتبنى مشروع تيار المستقبل كما هو». فلم يعرف فتفت كيف يتراجع عن تأييد حزبه المزعم للنسبية.

وتحقيق التمثيل الأفضل. البطاقة الانتخابية الممغنطة التي تضبط عملية الإنفاق الانتخابي وتضمن حرية للناخب والمرشح وتسمح بمشاركة الاغتراب في الانتخابات. والكوتا النسائية وضرورة الارتقاء وتمثيل المرأة إلى المستوى الذي يتناسب مع موقع المرأة ودورها في المجتمع. وفي موضوع النفط، كشف رئيس المجلس عن دراسات مستجدة تؤكد وجود كميات كبيرة من النفط والغاز في المياه قبالة بيروت الكبرى من الدامور إلى عمشيت، مماثلة لتلك الموجودة في الجنوب، إضافة إلى دراسة عن النفط في البقاع الغربي والبقاع الشمالي. وكشف للوفد أن البند الأول الذي سيبحث فيه مع الأميين العام للأمم المتحدة بان كي مون هو ملف النفط والحدود البحرية. وفي ما خص زيارة الأخير للبنان، أظهرت نسخة منقحة للائحة مرافقيه إلى بيروت وجود ناظر القرار 1559 تيري رود لارسن في عداد الوفد، بعدما كان اسمه غائباً عن النسخة السابقة. وسيصل بان إلى لبنان يوم الجمعة المقبل، وفي برنامج لقاءات مع رؤساء الجمهورية ومجلسي النواب والوزراء، حيث سيرزور السبت الجنوب، ثم يتناول الغداء في قصر بعيداً والعشاء في السرايا الحكومية، ويشارك يوم الأحد في المؤتمر الذي سيعقد في الإسكوا لوكالات الأمم المتحدة. في مجال آخر، وفي ردّ على النائب عماد الحوت من دون تسميته، أصدرت «قوات الفجر» بياناً أمس قالت فيه «من يرد أن يتجرأ فليتجرأ، لكنّ قوات الفجر مستمرة في حمل أمانة المقاومة، وتفخر بسلحتها صانع الانتصار، لأنه ليس سلاح ميليشيا ولم يتلوث بحروب الزوارب».

وتطرق بري إلى قانون الانتخابات، حيث شدد على 3 عناوين أساسية: النسبية مع الدوائر الموسعة لكونها تخفف مستوى الطائفية والمذهبية وتؤكد التلاحم الوطني، وحاجة اللبنانيين بعضهم إلى بعض،

أين تداول السلطة في قطر؟



طالب النائب زياد أسود، وزير خارجية قطر حمد بن جاسم آل ثاني، بشرح معنى نصابه لسوريا، فيما دولته وأمثالها «لا تحكّم إلا من خلال أسر عائلية لا تفقه معنى المساواة والعدالة والحقوق والواجبات بين المواطنين»، وكذلك أن يشرح «أين تحققت الديمقراطية عندهم، وعن أي نظام حكم وآليات ونصوص دستورية تسعى دولته إليها لتحقيق طموحات الشعوب الأخرى في مثلها لتتبع طريق نصابه لسوريا ولبنان ونصاع لرغبته»، سائلاً: «أين حققت دولته التداول في السلطة والحق في ممارسة الشأن العام وتولي المراكز الرسمية لغير المحظيين من الأسر الحاكمة والمحكومة في آن واحد؟». وإذا اتهمه بالتآمر وتغطية المؤامرة، توجه إليه بالقول: «إن أقصر الطرق لما يجري هو استمرار المقاومة لمشروعكم. لا الانصياع لشهواتكم وأنتم ودولتكم بحجمها ودورها ومنتفعاتها لا تمثلون سوى صندوق بريد وخزنة لثروات طائلة لا تستحقونها».

والرابية

تطبّقون هذين القرارين؟». وتساءل «لماذا ممنوع تسليح الجيش، وحزب الله يقول إن الجيش غير قادر على الدفاع عن لبنان؟ اعتبر اللبنانيون عندما قلت هذا الكلام أنني مع سلاح حزب الله، وأنا أحاطب الأسرة الدولية، لأن ثلاثة أرباع مشاكلنا في الخارج والربع في الداخل، وعندما تحل هذه الأمور أستطيع أن أسأل حزب الله لماذا تحمل السلاح؟ والعيد الكبير عندي اليوم إذا سلم الحزب سلاحه، لكن يجب أن نكون واقعيين. المعالجات تحصل اليوم بحبة مسكن، والمطلوب عملية جراحية». وأشار إلى أن «البيروقراطية بدأت حواراً رسمياً مع حزب الله كي نتكلم في جميع الأمور، وليس في الإعلام بل حول الطاولة، ولا نعتبر أحداً بالغلط».

وأمام وفد من مجلس نقابة الصحافة الجديد برئاسة النقيب محمد بعلبكي، تحدث رئيس مجلس النواب نبيه بري عن الوضعين اللبناني والعربي، فدافع عن سياسة ناي لبنان بنفسه عما يجري في المنطقة «لتجنبيه تداعيات التطورات»، معتبراً أن الوضع في المنطقة «يغير المخاوف»، وأبدى خشيته من «أن يكون المطلوب قيام أنظمة تعطي بعض الحريات ولا تهدد إسرائيل وأمنها». ورأى «أن إلغاء الطائفية لم يعد مطلباً لبنانياً، بل أصبح مطلباً عربياً، لأن العروبة في خطر». وقال «إن الوضع في سوريا مختلف عنه في الدول الأخرى، وهناك أخطار تتهدد سوريا، والمصلحة أن تنجح المبادرة العربية على علقتها».